الشيخ علي الشبراملسي

شيخ مشايخ الإسلام خاتمة المحققين الفقيه العلامة اعلم أهل زمانه أبو الضياء نور الدين علي بن علي الشبراملسي الشافعي، ولد ببلدة شبراملس بمحافظة الغربية عام 997هـ/1589م، وكف بصره وأصابه الجدري وهو ابن ثلاث سنين ولم يمنع المرض نبوغه فحفظ القرآن الكريم، وجوده وهو صغير السن في كُتاب القرية، ثم قدم مصر بصحبة والده عام 1008هـ/ 1599م، والتحق بالجامع الأزهر ودرس به، فتلقى الحديث والفقه واللغة والنحو والتفسير والبلاغة وغيرها من العلوم النقلية والعقلية.

أقبل على دراسة البلاغة والتزود منها بداية بحفظ أهم المتون ثم تعلمه على أيدي المتخصصين ومنها متن التخليص للقزويني ثم أخذ علم البيان من الشيخ العالم أحمد الغنيمي (توفي 1044هـ/ 1634م) وغير ذلك الكثير وتصدر للإقراء بجامع الأزهر، فانفرد في عصره بجميع العلوم، فوصف بخاتمة المحققين وملك العلماء الأعلام وأعلم أهل زمانه ولم يأت مثله في دقه النظر وجودة الفهم وسرعة استخراج الاحكام من كلام العلماء وقوة التأني في البحث، فكان إمام أهل عصره في العلوم الشرعية الأصلية والفرعية والفنون العقلية والنقلية، كما عرف عنه التواضع والأدب والأخلاق الرفيعة فكان ورعاً زاهداً في دنياه وكان آخر أقرانه موتاً.

ومن شيوخه الذين تعلم على أيديهم واخذ عنهم الشيخ عبد الرحمن اليمني الشافعي وقرأ عليه القرآن بالقراءات العشر، والشيخ عبد الرؤوف المناوي، والشيخ النور الزيادي، والشيخ سالم الشبشيري، والشيخ النور الحلبي، والشيخ عبد الرحمن الخياري، والشيخ الشمس محمد الشوبري الشافعي (توفي 1067هـ/ 1656م)، والشيخ عبد الله الدنوشري، والشيخ فجر الدين الشنواني، والشيخ سراج الدين الشنواني، والمحدث الكبير الشهاب أحمد السبكي، والشيخ البرهان إبراهيم اللقاني، والشيخ الأجهوري، والشيخ سليمان البابلي ،والشيخ الشهاب الغنيمي.

ومن المواقف التي تدل على محبة شيوخه له ما ذكر عن شيخه العالم عبدالرحمن اليمني الشافعي والذي كان يحب الشبراملسي كثيراً وكان يثني عليه، فترامى إلى إسماع الشيخ اليمني أن الشبراملسي يحضر دروس أحد العلماء في البلاغة، فقال له : بلغني أنك تحضر فلانا، وأنك والله افضل منه وحلف عليه أن لا يحضر دروسه - أي دروس العالم الآخر- فيما بعد ، فامتثل الشبراملسي لأمر شيخه.

وتلقى عن الشبراملسي جمع كبير من أهل العلم، وكان ممن لازمه لأخذ العلم عنه أكابر علماء عصره منهم الشيخ محمد البهوتي الحنبلي والشيخ منصور الطوخي والشيخ يس الحمصي والشيخ عبدالرحمن المحلي والشيخ الشهاب البشبيشي والسيد أحمد الحموي والشيخ عبدالباقي الزرقاني والحسين محمد بن ناصر الدرعي والشيخ عبدالرحمن بن أبي محمد عبدالقادر الفاسي وغيرهم.

وكان حريصا على إشراك طلابه في مناقشة الدرس ويتكدر إذا لمس عدم مشاركة طلابه معه، ويقول لهم : ما لنا اليوم هكذا ؟! وكان يعطي درساً تربوياً آخر لطلبته،

حيث أنه كان يحترم الشيوخ المتقدمين ويجلهم حتى أنه لم يجرؤ على إعلاء مخالفته للمخطئ منهم، ويقول للطلبة شاركونا في فهم هذه العبارة، ثم يبين ما فيها من خلل أو اعتراض بأسلوب لطيف خفي حتى لا يحقر المخطئ وكان يقول: (قيراط من الأدب خير من أربعة وعشرين قيراطاً من العلم). كما لم يعهد منه أنه أساء إلى أحد من طلابه ولو حتى بكلمة وكان يقول إذا تغير من أحد من تلامذته : الله يصلح حالك يا فلان.

وخير مثال على علاقته بطلابه ما ذكره الجبرتي عن الشيخ عبدالباقي الزرقاني إنه كان معيداً لدروس الشبرامسلي وكان يعتني بشأنه كثيراً، وكان إذا غاب يسأل عنه ، ولا يفتح درسه إلا إذا حضر مع إنه أصغر طلبته، فكان محسوداً لذلك في جماعته وكان الشيخ يعتذر عن ذلك ويقول (أن النبي صلي الله عليه وسلم أوصاني به).

وكان مرتبطاً بصديقة الشيخ زين العابدين بن محيي الدين بن ولي الدين بن جمال الدين يوسف بن زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي (توفي **1068**هـ/ **1657**م) وهو حفيد القاضي زكريا الأنصاري، فكان يربطهم علاقه محبه وود في مراحل تعليمهم الأولى، ثم أخذت تترسخ هذه العلاقة فيما بينهم كلما تخطوا إحدى المراحل حتى تلازما مثل الجفن للعين وكان يحب زين العابدين ويثني عليه وتوفي زين العابدين في حياة صديقة الشبراملسي فجزع عليه وحزن حزناً شديداً.

كان يكتب على جميع ما يقرئه من الكتب، ولو جمع ما كتبه لجاوز الحد، ولكنه تبدد بين يدي طلبته، واشتهر من مؤلفاته :

حاشية على المواهب اللدنية للقسطلاني بالمنح الربانية في النبوية في خمس مجلدات، حاشية على شرح الشمائل النبوية لابن حجر الهيثمي، حاشية على شرح الورقات الصغير لابن قاسم، حاشية على شرح أبي شجاع لابن قاسم الغزي، حاشية على شرح المنهاج في ستة مجلدات، شرح منهاج الاصول لشمس الدين الرملي، حاشية علي شرح رساله الاستعارة للسمرقندي، رساله في حكم صلاة الظهر بعد العصر، حاشية علي نهاية المحتاج في فروع الفقه الشافعي، رسالة في معنى اللاهوت، رسالة في الاولياء، وفتاوي الشبراملسي، رسالة في حكم صلاة الظهر بعد الجمعة في الأمصار.

توفي ليلة الخميس **18** من شهر شوال سنة **1087**هـ/ **1676**م، وتولى غسله بيده تلميذه الفاضل أحمد البناء الدمياطي، وصلى عليه بالجامع الأزهر إماماً بالناس الشيخ شرف الدين بن زين العابدين حفيد شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وكان مشهده عظيم وجزع الناس عليه ما لم يعهد لمثله.

فرحمه الله على الشبراملسي فقد كان شيخاً جليلاً عالماً عاملاً فإذا مر في السوق تتزاحم الناس على تقبيل يده، ولم ينكر أحد من علماء عصره وأقرانه فضله، بل جميع العلماء إذا أشكلت عليهم مسألة يراجعونه فيها فيبينها لهم على أحسن وجهه واتمه.

***